أستريد ليندجرين



ليلى
ترحل من البيت

دار المنى

LINDGREN

ليلى ترحل من البيت

دار المنى

استريد ليندجرين



ليلى
ترحل من البيت

"لم يكن قد مر على عيد ميلاد ليلى الخامس الا وقت قصير، حينما نهضت في صبيحة أحد الايام وهي تشعر بغضب شديد. كانت قد رأت حلما مزعجا. وهي تعتقد ان ما نراه في احلامنا يكون قد حدث فعلا."

ان يوما يبدأ بهذه الطريقة لابد ان يكون يوما مزعجا.. ولقد بدا كذلك فعلا اول الامر بالنسبة الى ليلى.. ولكنه سيتحول الى يوم لن تنساه ابدا في حياتها.

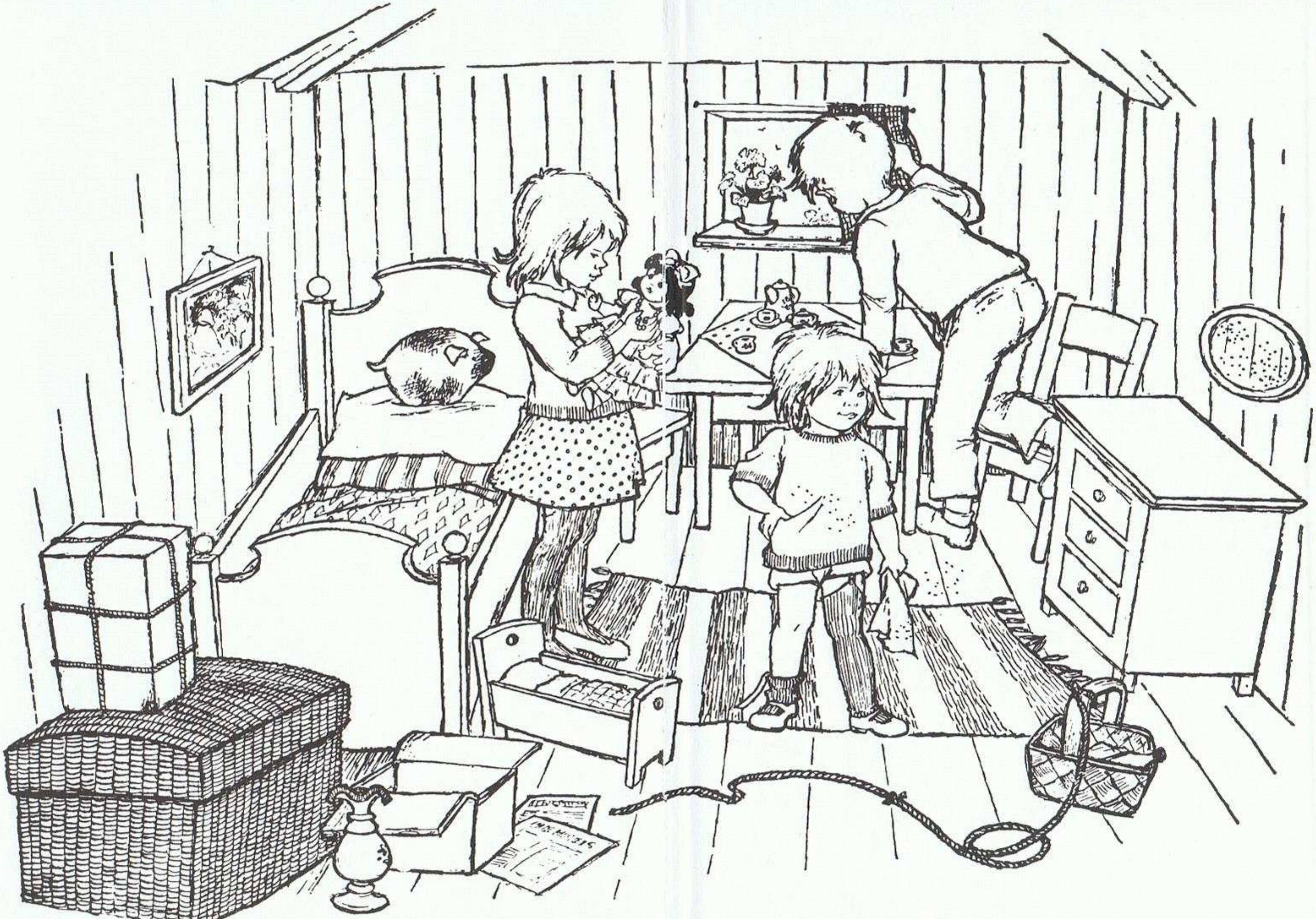
ترى ماذا حدث؟

رائعة اخرى من روائع الكاتبة السويدية الشهيرة استريد ليندجرين في وصف عالم الطفولة.

ISBN 91-88356-10-8

9 789188 356109

دار المنى



استريد ليندجرين

ليلـــى
ترحل من البيت

الرسوم: ايلون فيكلاند



النص العربي بقلم: د. وليد سيف

دار المنى

Second Arabic edition 1999

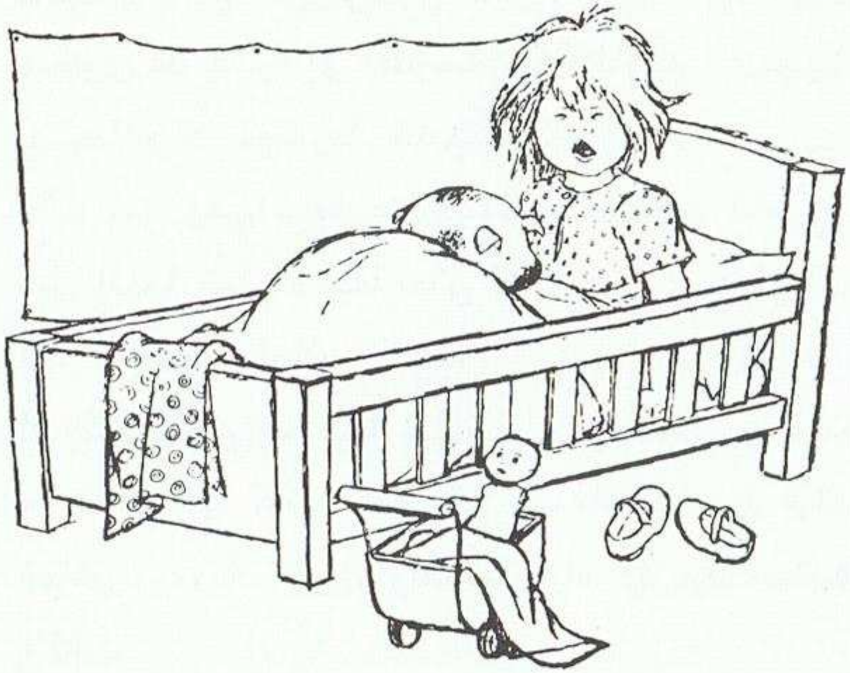
Originally published in Sweden by R & Sjögren under the title:
" Lotta på Bråkmakargatan "

Printed in Hungary 1999
ISBN 91 88356 10 8

Dar Al-Muna
Box 127
182 05 Djursholm
Sweden

نهار صعب

لم يَكُنْ قَدْ مَرَّ على عيدِ ميلادِ ليلى الخامسِ إلا وقتُ قصير، حينما نَهَضَتْ في صبيحةِ أَحد الأيامِ وهي تشعرُ بغضب شديد. كانت قد رأت حلماً مزعجاً. وهي تعتقدُ أنَّ ما نراهُ في احلامِنا يكونُ قد حدثَ فعلاً.



«لقد ضربوا صديقي بامسي.» هكذا صَرَخَتْ عندما جاءت أُمُّها تستفسرُ عن سببِ كلِّ ذلك الضجيجِ الذي كانت ليلى تُحْدِثُه وهي تجلسُ على سريرِها في الساعةِ الثامنةِ صباحاً.

سألت الأم: «من ضرب صديقَك بامسي؟»

أجابت ليلى: «أيمن ونجوى.»

قالت الأم: «يا عزيزتي ليلى. لابد أنّه كان حلماً. فأيمن ونجوى قد غادرا إلى المدرسة. وَمِنَ المؤكّدِ أنه لم يكن لديهما وقتٌ ليضربا صديقَك بامسي.»

قالت ليلى وهي تحنو على صديقها المسكين «بامسي»:

«بل إنهما ضَرَباه حقاً حتى لو لَمْ يكن لديهما وقت. لقد رأيتُهما يفعلان ذلك.»

لم يكن «بامسي» صديقُ ليلى، غيرَ كلب صغيرٍ سمينٍ من القماش. كانت أُمُّها قد صَنَعَتْه لها مِن قطعةِ قماشٍ زهريةِ اللون، وأَهْدَتْها اياه في عيدِ ميلادِها الثالث.

في ذلك الوقت كان "بامسي" نظيفاً وزهريَّ اللون حقاً. ثم اتسخ مع الزمن وتغير لونُه. ومع ذلك، كانت ليلى مقتنعةً ان "بامسي" هو في الحقيقة دُبّ. ولذا كانت تُصِرُّ على ان تسمِّيَه «الدب بامسي».

وقد اعتادَ أيمن أن يسخرَ منها: «هاها، إنَّه ليس دبّا، إنّه كلب».

وكانت ليلى تقول: «بل أنت غبي، إنَّه دبٌّ بالتأكيد.»

ويضحك أيمن قائلا:

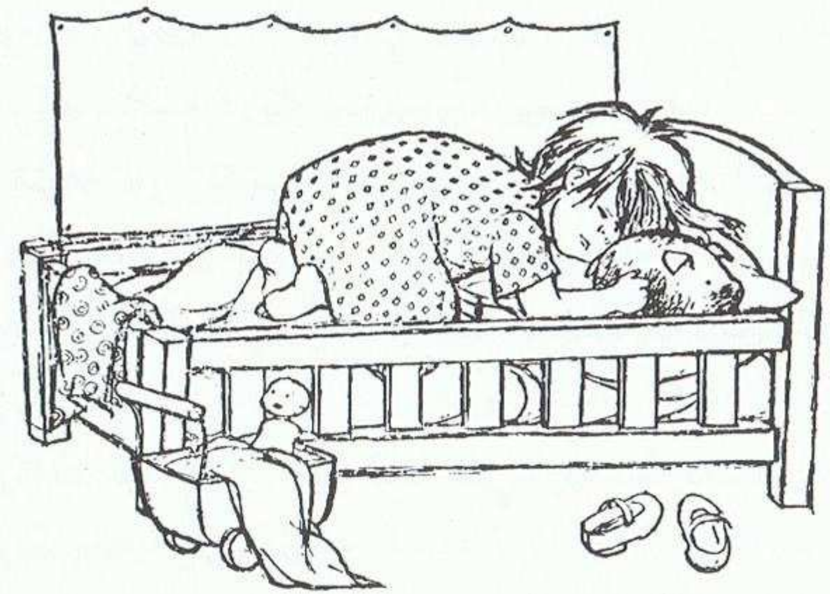
«هذا ما تعتقدينه. طيب. إذا كان دُبّا كما تقولين، فاني أُحِبُّ أنْ أعرفَ، هل هو دبٌّ قطبيٌ أم دبٌّ عاديّ؟»

فتقول ليلى:

«إنَّه دبٌّ كلبيّ. هذا رأيي»!

كانت ليلى تحبُّ دُبَّها الكلبيَّ كثيراً. ففي الليل كانت تُنيمُهُ الى جانبِها. وحينما يغيبُ أيمن ونجوى كانت تحادثُه طويلا.

اما الآن، فان ليلى مقتنعةٌ تماما أنَّ بامسي يَرْقُدُ على



الوسادةِ حزيناً متألماً، لأن أيمن ونجوى قد ضرباه. وبينما هي تُربِّتُ عليه، كانت تبكي وتقول: «يا لصديقي المسكين بامسي! أعِدُكَ أنني سآخذ لك حَقَّكَ من أيمن ونجوى.»

يعيش أيمن ونجوى وليلى مع والدَيْهم في بيت أصفر اللون. وفي كلِّ صباح، يذهب أيمن ونجوى إلى المدرسة، بينما يذهبُ الأبُ الى عملِه. وهكذا تبقى الأمُّ

وليلى وحدهما في البيت. وكانت الأمُّ تقول دائما: «أنا محظوظةٌ جدا لأنَّ عندي ليلى، وإلا لَبَقيتُ وحدي طَوال النهار في البيت.» وتوافقها ليلى على ذلك فتقول: «نعم، أنت محظوظة جداً لأنني عندك. فلو لم أَكن موجودةً لبقيت وحدَكِ في البيت. وفي هذه الحالة كنت سأشعر بالأسَفِ من أجلك.»

ولكن ليلى لم تقلْ ذلك في هذا الصباح، فَقَدْ كانت غاضبةً جداً. وكانت تجلسُ على سريرها مُقَطِّبَةَ الوجهِ وقد بدا عليها الضيقُ الشديد. كان وقتُ ارتداء الملابس قد حان، وجاءت أمُّها تحملُ لها «كنزَتَها» الصوفيةَ البيضاء الناعمةَ التي غَزَلَتْها لها جدّتُها.
ولكنَّ ليلى صاحت:
«لا لن أَلْبَسَ هذه. لأنها تَخِزُ وتَخْدِش.»
قالت الأم بهدوء وصبر: «لا، إنها ليست كذلك. المسيها لتري كم هي طرية وناعمة.»

ولكن ليلى استمرت في عنادِها وقالت دون أنْ تلمَسَها:
«إنَّها تَخِزُ وتَخْدِش. أُريد أن ألْبَسَ ثوبي المخْمَلي.»
كان لدى ليلى ثوبٌ مخمَلّيٌ أزرقُ فاتحٌ مُخَصَّصٌ ليومِ العطْلةِ الأسبوعي. وها هي الآن تريدُ أنْ تلبسَه على الرغم من أنَّ اليوم هو يومُ الثلاثاء، وليس يومَ عطلةِ الأسبوع.
قالت والدتُها:
«يُمْكِنُك أن تلبسي ثوبَك المخمليَّ ذلك في يوم العطلةِ الاسبوعي. اما اليوم فسوف تلبسينَ هذه «الكنزة».
ردت ليلى قائلة: «إذن، أُفضل أن أَبقى بلا ملابس.»
قالت الأم: «كما تشائين!» ثم ذهبت الى المطبخِ.
وهكذا بقيت ليلى في غرفةِ الأَطفالِ بلا ملابسَ وقد تصاعد الآن غضبُها. في الواقع، لم تكن ليلى بلا ملابس إطلاقا، فقد كانت ترتدي سروالا قصيراً وقميصاً صغيراً وزوجاً من الجوارب.
«عدا ذلك فإنّني بدونِ ملابس.» هذا ما قالته ليلى



لبامسي. إنه الوحيدُ الذي تستطيعِ أَن تُكَلِمّه الآن.
وما هي الا لحظات حتى نادتها أُمُّها من المطبخ قائلةً:
«ليلى! يمكنك الآن أن تأتي الى المطبخِ لتناولِ الشوكولاته الساخنة.»

تَمْتَمت ليلى قائلة: «هذا ما تظنين.» وتابعت جلوسَها في الوضع نفسِه.

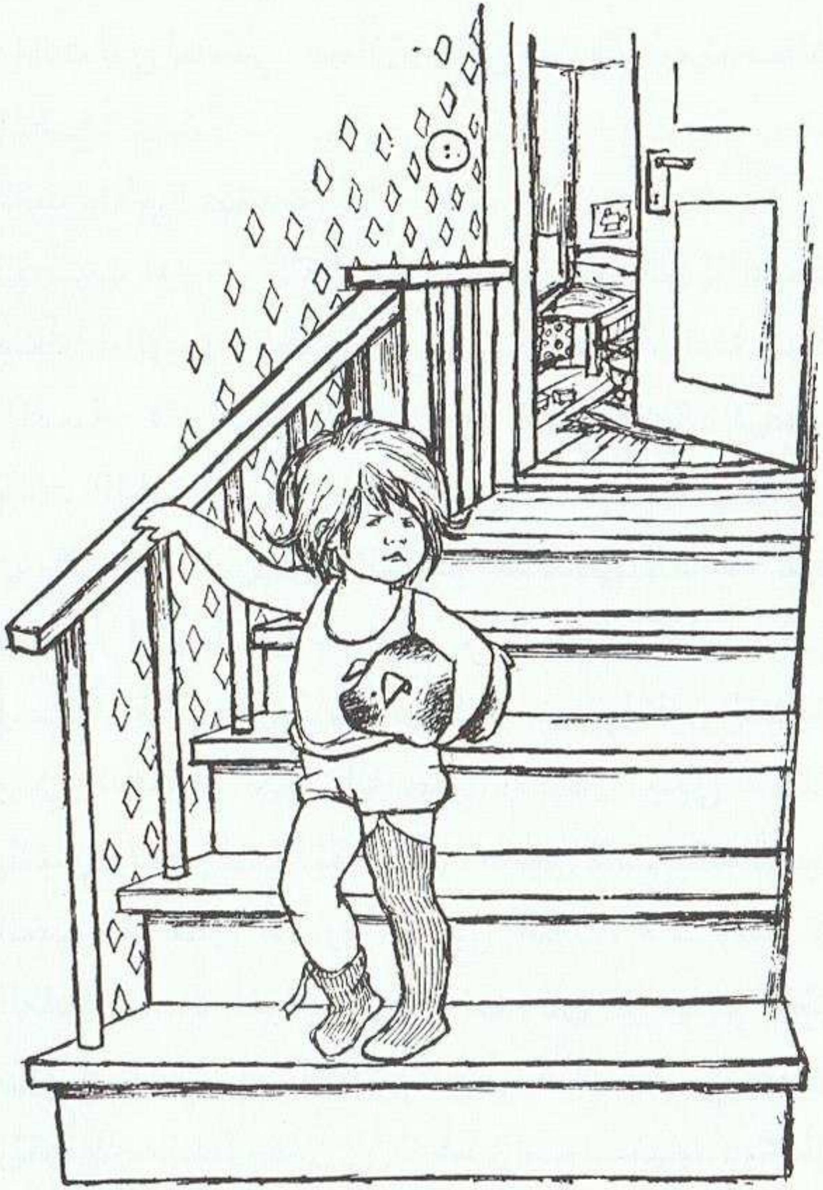
وعادت أُمُّها الى النداء قائلة:

«أَجيبي يا ليلى هل تريدين الشوكولاته الساخنةَ أم لا؟»

هذا بالتحديد ما كانت تريده ليلى: أن تتابع أمُّها ملاحقَتها واسترضاءها ودعوتَها لشرب الشوكولاتة الساخنة. ومع ذلك فإن ليلى لن تردَّ عليها. انها تشعرُ بشيءٍ مِن الرضا عندما تناديها أُمها فلا تجيب.

ولكن ليلى جائعةٌ حقا. وهي بالفعل تريدُ فِنْجانَ الشوكولاتة السَّاخنة. ولذا فإنها بعد مرور وقتٍ ما، وبعد أن اقتَنَعت أن امَّها انتظرت ما فيه الكفاية، حملت صديقَها بامسي ونزلت الدرج.

نَزَلت ببُطءٍ شديد. وكانت تتوقف عندَ كلِّ درجة لكي تُبْقِي والدتَها في حالةِ ترقّـب وحيرةٍ وشك. فهي قـد تقبـلُ أَن تَشْربَ الشوكولاتةَ الساخنة وقد لا تقبل.



وقالت ليلى لبامسي: «سأُقَرِّرُ رأيي بعد قليل.» ثم دخلت المطبخ.

قالت الأم: «مرحبا ليلى.»

لم تُجب ليلى، واكْتَفَتْ بأن وقفت عند الباب عابسةً مُقَطِّبَةَ الوجه، يجبُ أَن تَرى أُمُّها أَنّها ما تزالُ غاضبةً. فلم يَحِنِ الوقتُ بعدُ لكي تُظْهِرَ الرِّضا.

كانت العادة أَن تتناولَ ليلى فطورَها مع أُمِّها في المطبخ في كل صباح. وكان الوضعُ هناك في العادة لطيفاً وممتعاً ومرحاً وودياً. وهو الآن يبدو كذلك مغرياً وجذّاباً. فالشمسُ كانت ترسل بأشعتِها عَبْرَ النافذة.

وعلى الطاولة، كان الفنجان الخاص بليلى ممتلئاً بالشوكولاتةِ الساخنة. والى جانبه كانت قطعةٌ من الخبزِ المُحَمصّ مدهونةً بمربى التوت. كانت ليلى في العادة تتحدثُ طوالَ الوقت. اما الآن، فإنها لم تَنْطِق بكلمةٍ واحدة. وكانت الأُم تجلسُ هناك تحتسي قهوتها وتقرأُ الصحيفة، دون أن ترفَعَ رأسَها عنها، ودون أن

تقولَ هي كذلك شيئاً.

أخيراً تنهَّدَتْ ليلى وقالت: «طيب. اذا كنتِ تُصِرِّين فيمكنُ أن أَشربَ فنجانَ الشوكولاتةِ الساخنة.»

قالت الأمُّ فورا:

«أبداً. أنا لا أُصِرُّ على ذلك اطلاقاً. ثم إنَّ عليك ان ترتديَ ملابِسَكِ أولاً.»

قبل هذه اللحظة، كانت ليلى غاضبةً فقط. أما الآن فكاد يُجَنُّ جنونُها، ألا يَكْفي أَنها حُرِمَت من الثّوب الذي تحبه، ولم يُسْمَح لها إلا «بكنزةٍ» قديمةٍ تَجْـرَحُ وتَخْدِش، ألا يكفي هذا كلُّه حتى تُحْرَم من الطعام كذلك؟ يا الله كم يسيئون معاملتَها!!

خَبَطَتْ ليلى الأرضَ بقدمِها وصاحت: «أنتِ أمٌّ قاسية.»

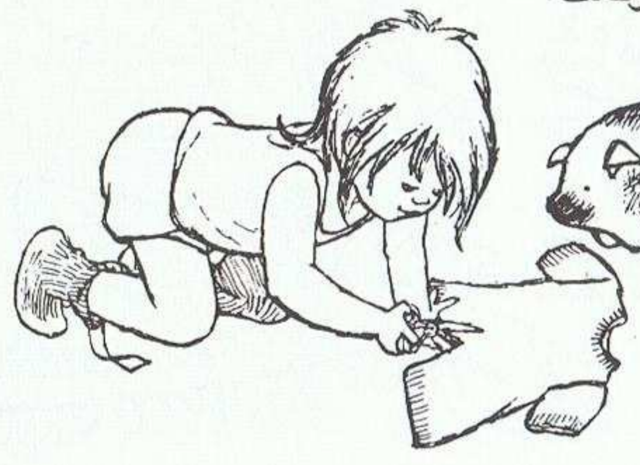
قالت الأمُّ بحزمٍ وصرامة:

«اسمعي الآن يا ليلى، هذا يكفي. عودي الى غرفتك وامكثي فيها حتى ترجعي إلى أدبكِ من جديد.»

اطلقت ليلى صرخةَ بُكاء مُدَوِّيةً وَصَلَت إلى البيتِ المجاورِ الذي تعيشُ فيه السيدةُ سلمى. ثم انْطَلَقَتْ بسرعةٍ خارِجَ المطبخِ وصعدت السُلَّمَ المؤدّيَ إلى غرفتِها وهي تصرخُ باكيةً طوال الوقت. في البيت المجاور هزَّت السيدة سلمى رأسَها بأسفٍ وقالت: «مسكينة ليلى الصغيرة. لابُدَّ أنَّ بطنها يوجعُها!» ولكن ليلى لم تكن تتألمُ من بطنِها حقاً. كلُّ ما في الأمر أنها كانت غاضبةً الى أبعد الحدود. ولذا أَخذت تخبطُ الأرضَ بقدمَيْها وقد تملَّكَها السخطُ الشديد. وفجأةً وَقَعَ بَصَرُها على «الكنزة» الصوفية ملقاةً على الكرسي. كانت تبدو لها شائِكةً أكثرَ من أيٍّ وقتٍ مضى. أَلقت «الكنزةَ» على الأَرضِ، ثم توقفتْ وقد سَيْطَرَ عليها هدوءٌ مفاجىء. إلى جانب «الكنزة»، كان هناك على الأرض مِقَصٌ تستخدمِهُ ليلى عادة في قصِّ الورقِ لِصُنْع أَلعابها الورقيّة. أَخذت ليلى المِقَصّ. وببطءٍ شدَيدٍ قَصَّت ثقباً كبيراً في «الكنزة.»



ثم قالت تخاطبُ «الكنزة»: «هذا ما تستحقين لِأنّكِ
تخزِينَ وتَخْدِشين». ثم أَدخلت ليلى يَدَها عبرَ الثـقبِ
الذي أَحْدَثَتْهُ، فاكتسى وجهُها بالوجوم. ما أوسـعَ
الثقب! وما أصعبَ أن ترى يَدها كلَّها تخرجُ من مكانٍ
ليسَ من المفروضِ في الأصل أَن تَخْتَرِقه يد! فجأة
شعرت ليلى بالخوف.
قالت لصديقها بامسي: «سأقول إنَّ كلباً قد أَحدث ذلك
الثقب.» ورفعت «الكنزةَ» أَمام عَيْنَيْها ونظرتْ إليها
طويلاً. ثم التقطت المِقصَّ وقصَّتْ إحدَى ذراعَيّ
«الكنزة» وقالت:





«سأقول إن الكلبَ قد عضَّ القميصَ ومزَّقه قطعاً.»
رفعت الكنزةَ من جديدٍ وعادت تنظرُ إليها. ثم التقطت
المِقَصَّ ثانيةً وقصّتِ الذراعَ الأُخرى.
قالت ليلى وهي تهز رأسَها: «إنه كلبٌ شقيٌّ جداً جداً.»
ولكنَّ ليلى قد بدأت الآن تشعرُ بالخوفِ حقاً، وبشيءٍ
من الغثيانِ في جوفِها أَيضاً. لَفَّت «الكنزةَ» في شَكْلِ
كُرَةٍ وضغطتها في سلَّةِ المهملات. لم تعد تريد أَنْ
تراها إطلاقاً.

ونادتها أُمُّها من الطابق السُّفليِّ قائلة: «هل قَرَّرتِ أن تعودي مُؤَدَّبةً من جديد؟»

تنشقت خلال بكائها وقالت لنفسها بعنادٍ واصرار: «أَبداً، اطلاقاً.»

ثم ضَمَّت بامسي بين ذراعَيْها وشدته الى صدرِها وهي تُغَمْغِم: «هذا ما يستحقونه يا بامسي. إنهم جميعا لئامٌ معنا».



كانت ليلى تعلم أَنَّ هذا الكلامَ غيرُ صحيح. ولكنْ حينما يقطعُ الواحدُ «كنزتَه» كما فَعَلَتْ ليلى، فإنه يحتاجُ الى شخصٍ ما، عدا الكلب، لِيُلْقي اللّومَ عليه.

وعادت ليلى تقول وهي تَمُدُّ ذراعيها:

«كلُّهم لئامٌ معنا. لهذا انا أقطعُ الأشياء.» ثم حانت منها نظرةٌ خاطفة الى سلَّةِ المهملات فقالت بإصرار: «ثم إنَّ كلبا هو الذي فَعَلَ ذلك على كل حال.»

ليلى ترحل من البيت

مرت بضعُ دقائق، وصار على الأم ان تَخْرُجَ من البيتِ لشراءِ بعضِ الأغراض، ولكن قبل أَن تخرجَ دَخَلَتْ غرفةَ ليلى وقالت:

«هيا أسرعي وكوني فتاةً مؤدبّة من جديد يا ليلى. هيا ارتدي "كنزتك" الصوفيةَ لِيُمْكِنَكِ الخروجُ معي إلى المتجر.»

آه كم كانت ليلى تحب اصطحاب أُمّها إلى المتجر. فهذا أَجملُ ما كانت تفعله. ولكنَّ «الكنزةَ» التي كان عليها أن تلبَسَها قد صارت الآن خِرقَاً ملقاةً في سلّةِ المهملات. فلا عجبَ إذن أَنها اطلقت صرخةً جديدة مُدَوّيةً جعلت السيدة سلمى في البيتِ المجاورِ تهز رأسَها متعجبةً أَكثر من السابق.

قالت الأم: «ما الذي دهاك اليوم يا ليلى؟»

أجابت ليلى: «لا شيء. لا شيءَ "إطلاقا"».

قالت الأم:

«طيب! إذا كُنْتِ مُصِرَّةً على البقاءِ هكذا طوالَ اليوم، فسأذهبُ الى المتجرِ وحدي. فطورك ما يزال على الطاولةِ في المطبخِ إذا كنت تريدينه. سأعودُ بعد وقتٍ قصير.»



وهكذا خرجت الأمُّ من البيت، بينما بقيت ليلى جالسةً على أرضِ الغرفة تبكي وتصرخُ وحدَها. فليس هذا ما كانت تريدُه. وبالتدريج، بدأت ليلى تستعيدُ هدوءَها. ثم بدأت تُفكِّر. هل يَتَعَيّنُ عليها أَن تُمْضيَ العمرَ جالسةً في غرفتِها بسببِ تلك «الكنزة»؟ معنى ذلك أَنْ يذهبَ الآخرون كالعادةِ يومياً الى المتاجرِ والمدارسِ وأماكنِ العملِ ويقضوا أوقاتاً مليئةً بكل أَنواع المتع، بينما تبقى هي جالسةً وَحْدَها مع بامسي، وبلا ملابِسَ أَيضا!

هنا قالت ليلى لبامسي: «اذا كان الأمرُ كذلك، فالأفضلُ أن نَرْحلَ من هذا البيت.» وهكذا جاءتها تلك الفكرة. كانت ليلى قد سَمِعَت أُمَّها تتحدثُ عن خادمةِ عائلةِ نعمان التي تَرَكَتْ بَيْتَهم لأنها لم تكن سعيدة معهم.

قالت ليلى: «وأَنا أَيضا لَسْتُ سعيدة مع عائلة حسان.» وتعني بعائلة حسان عائلتَها التي تتكون من أَبيها وأَمِهّا وأَخيها أيمن وأُختِها نجوى.. وليلى نفسِها بالطبع.

وتابعت ليلى قائلة: «ان عائلةَ حسان لِئامٌ معنا. ولذلك فهم يستحقون ما يَحْصُلُ لهم برحيلنا عنهم.» وهكذا عزمت ليلى على الرحيل فوراً.

قالت لبامسي: «يجب أَن نُسْرِعَ قبل أنْ تعودَ أُمي، وإلا فلن تنجحَ الخِطة.»

إنّ الرحيلَ لا يُحَقِّقُ غرضَهُ إذا لم يَتَنَبَّهُ إليه أحد. ولذا فإن ليلى لا تُريد أن تغادِرَ قبلَ أن تتركَ ما يدلُّ على ذلك. يجب أن تعرفَ العائلةُ أنها رحلت لكي يشعرَ

الجميعُ بالأسفِ والنـدمِ والحـزنِ على رحيلها. ولذلك جاءت بورقةٍ وقلم وكتبت ملاحـظةً لأمِهّا. كان أيمن قد علَّمها كَيف تقرأ وتكتب. كان الأمرُ صعبا، ولكنها تدبرت أمرها في النهاية وكتبت بإملاء ضعيف:

انا راحلت اونظري
في سلت الموهملات

تعني: أنا رحلت. انظري في سلة المهملات.

وقالت لبامسي: «عندما تنظر أُمي في السلَّة، سوف تعرف أننا رحلنا.» وهكذا حملت ليلى صديقَها بامسي وخرجت بملابِسها الداخليةِ دونَ تغيير: قميص داخلي، وسروال، وحذاء، وجوربَيْنْ.

في طريقِها نحو الباب، تَذَكَّرتْ أن تَتَوَقَّفَ في المطبخ لتشربَ فنجان الشوكولاتة الساخنة. ثم حملت قطعةَ

الخبز المُحَمَّصِ المطلية بالمرَبّى وأكملت أكْلَها في مدخلِ البيت.

الى اين تذهب ليلى؟

ليس من الصعب أن يرحلَ الانسانُ إذا كان يعرف مكاناً يرحلُ اليه. ولكن ليلى لم تكن تملك أدنى فكرةٍ عن هذا. ثم ما لبثت أن اتخذت قرارَها. فقالت لنفسِها: «سوف أَسأل السيدة سلمى إذا كان في الإمكان أن أسكن عندها.» ورمت بامسي من فوق السياج الفاصل بين حديقةِ عائلةِ حسان وحديقةِ السيدةِ سلمى، ثم تسلَّقت من فوقِ السياجِ. وهنا أخذ «سكوتي»، كلبُ السيدةِ سلمى بالنباح حين رآها مع بامسي. ولكنه لم يكن ليخيفَ ليلى اطلاقا. وهكذا مَشَتْ بخطى واثِقةٍ وَطَرَقَت الباب.

أطَلَّت السيدةُ سلمى فقالت ليلى: «مرحباً. هل

تسمحين لي بالسكنِ عندكِ؟»

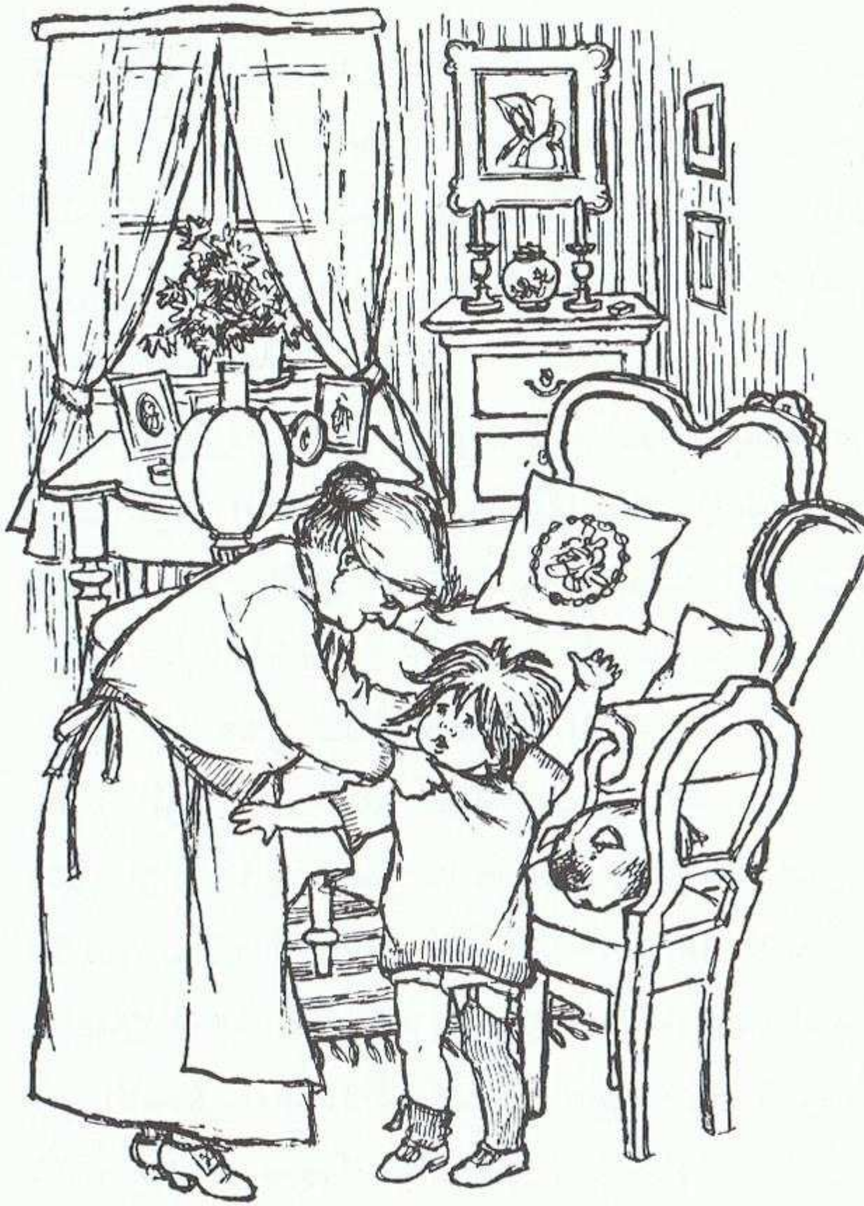
أجابت السيدة سلمى: "مرحباً ليلى. أليسَ من المفروضِ أنك تعيشين في بيت أُمِّكِ وأبيكِ؟" قالت ليلى: "بلى، ولكن قررت الرحيل عنهم. أنا لا أحب العيش مع عائلة حسّان".

قالت الجارةُ سلمى وهي تفتحُ لها البابَ على مِصْراعَيْه: «أنا أستطيعُ أن أتفهَّمَ رغبَتك في الرحيل».

ثم أضافت: «ولكنْ، ألا تعتقدين أنَّ عليك أن ترتديَ المزيدَ من الثياب؟»

أجابت ليلى وهي تدخلُ المطبخ: «إنني لا أحصلُ على طعامٍ أو ثيـاب عندَ عائلة حسان».

اتفق ان الجارةً سلمى كانت تحب الحياكةَ والغَزْل. فكانت تغزلُ الكنزاتِ الصوفيّةَ وتخيطُ القمصانَ والقفازات، وتبيعُها للنّاس الذين لا يُتْقنون هذا النوعَ من الأعمال. وهكذا ذَهَبَتْ إلى الخِزانة واستخرجَتْ كنزةً بيضاء سميكةً وألبست ليلى إياها.



كانت كنزةً واسعة، ولذا تدلّت من جسمِ ليلى الصغير، وبدَتْ أشْبَهَ بالثوب. سألت السيدةُ سلمى: «كيف تجدينها؟»

أجابت ليلى: «ممتازة. إنها لا تَخِزُ ولا تَخْدِش».

قالت السيدة سلمى: «هذا حسن».

قالت ليلى: «نعم هذا حسن». ثم بدأت تتحرك وتجيلُ بصرَها في المكان.

ثم سألت: «أين ستضعين سريري؟»

أجابت السيدةُ سلمى: «هذه هي المشكلة. ألا تَرَيْنَ يا ليلى؟ لا أعتقدُ أنَّ بإمكانك السُّكْنى هنا، فليس عندي متسعٌ لسريرٍ آخر.»

قالت ليلى: «ولكن، لابد لي من مكان أسكنُ فيه يا سيدة سلمى».

فكرت السيدة سلمى بعضَ الوقتِ ثم قالت: «أعتقدُ أَن عليك أن تَسْكُني وحدَكِ يا ليلى.»

قالت ليلى: «ولكنني لا أملكُ بيتاً.»

قالت السيدةُ سلمى: «يُمْكنك أن تستأجري سُدَّةَ مستودعي الخاص بالخزين والأمتعةِ القديمة.»

في الركن البعيدِ من حديقةِ السيدة سلمى كان هناك كوخٌ صغيرٌ تحتفظُ فيه السيدة سلمى بأدواتِ الحديقةِ وقصِّ العشب وبكيسَيْنِ من البطاطا وأشياءَ أُخرى كثيرةٍ متنوعة. وللكوخ سُدَّةٌ أشْبَهُ بغرفةٍ عُلويةٍ صغيرةٍ تحتفظُ فيها السيدةُ سلمى بالأثاث القديمِ وقِطَعٍ أُخرى متنوعة. وكانت السيدة سلمى تَصِفُ تلك الاشياء بأَنها ليست أكثر من «خُردة.»

أحياناً كان أيمن ونجوى وليلى يحاولون التسلُّلَ الى غرفةِ الخُرْدَةِ تلك، ليَرَوْا مافيها من أشياءَ قديمةٍ قد علاها الغبار. ولكن السيدة سلمى كانت تَتَنَبَّهُ اليهم فتصيح بهم: «لا! ممنوع دخول هذه الغرفة!»

ولكنَّ الأمرَ الآن يختلف. فها هي السيدة سلمى بنفسِها تُخْبِرُ ليلى أن باستطاعتِها أن تستأجرَ تلكَ السُدَّة.

فلا عجب ان تشعر ليلى الآن بسعادةٍ غامرةٍ وتقول: «هذا أحسنُ ما سمعتهُ منذُ زمنٍ طويل. هل أستطيع أن أسْكُنَ فيها الآن فوراً؟»

قالت السيدةُ سلمى: «دعينا أوّلاً نَذهَبْ لنرى الغرفة.»

وهكذا خرجت السيدة سلمى مع ليلى الى الحديقة، وصعدتا الى السُدَّةِ معاً. هزت السيدةُ سلمى رأسَها حين رأت وضعَ الغرفة وقالت: «لا أظن أن باستطاعتك أن تعيشي في هذه الفوضى يا ليلى؟»



قالت ليلى فورا: «بل أستطيع. انه مكان رائع. وهو أيضا لطيفٌ ودافئ.»

قالت السيدةُ سلمى:

«ربما كان دافئاً أكثرَ من اللازم.» ثم قامت بفتحِ النافذةِ لتهويةِ الغرفة.

هَرْوَلَت ليلى إلى النافذة ومّدت رأْسَها ونظرت إلى الخارج وصاحت:

«انظري! أستطيع أن أرى بيتَ عائلةِ حسان من هنا.» قالت السيدة سلمى:

«نعم. ان لديهم بيتاً جميلاً وحديقةً جميلةً كذلك.»

مدَّتْ ليلى لسانَها في اتجاه البيت الأصفر وقالت: «لن أعودَ للعيشِ هناك أبداً. سأعيش هنا طوالَ حياتي».

ثم تَحَسَّسَت ستائِرَ النافذة ذاتَ الخطوطِ الحمراءِ والبيضاءِ وهي تشعرُ بسعادةٍ غامرة وقالت: «ها هي الستائرُ متوافرةٌ عندي. كل ما أحتاجُه الآن هو الأثاث.»

قالت السيدة سلمى: «هل تريدينَ القيامَ بترتيب الأثاث وحْدَكِ، أم تحبين ان أُسَاعِدَك؟»

أجابت ليلى: «يمكنك أن تساعدي قليلا. ولكِنَّ القرَارَ لي.» قالت السيدةُ سلمى:

«لا بأس. قَرّري إذن. ما هي قطع الأثاثِ التي تريدين؟»

ابتسمت ليلى ابتسامة عريضة وهي تنظرُ الى السيدة سلمى. فالامور تبدو أفضلَ مما كانت تطمحُ إليه. كان يجب أن ترحلَ عن بيتها منذُ وقتٍ طويل!

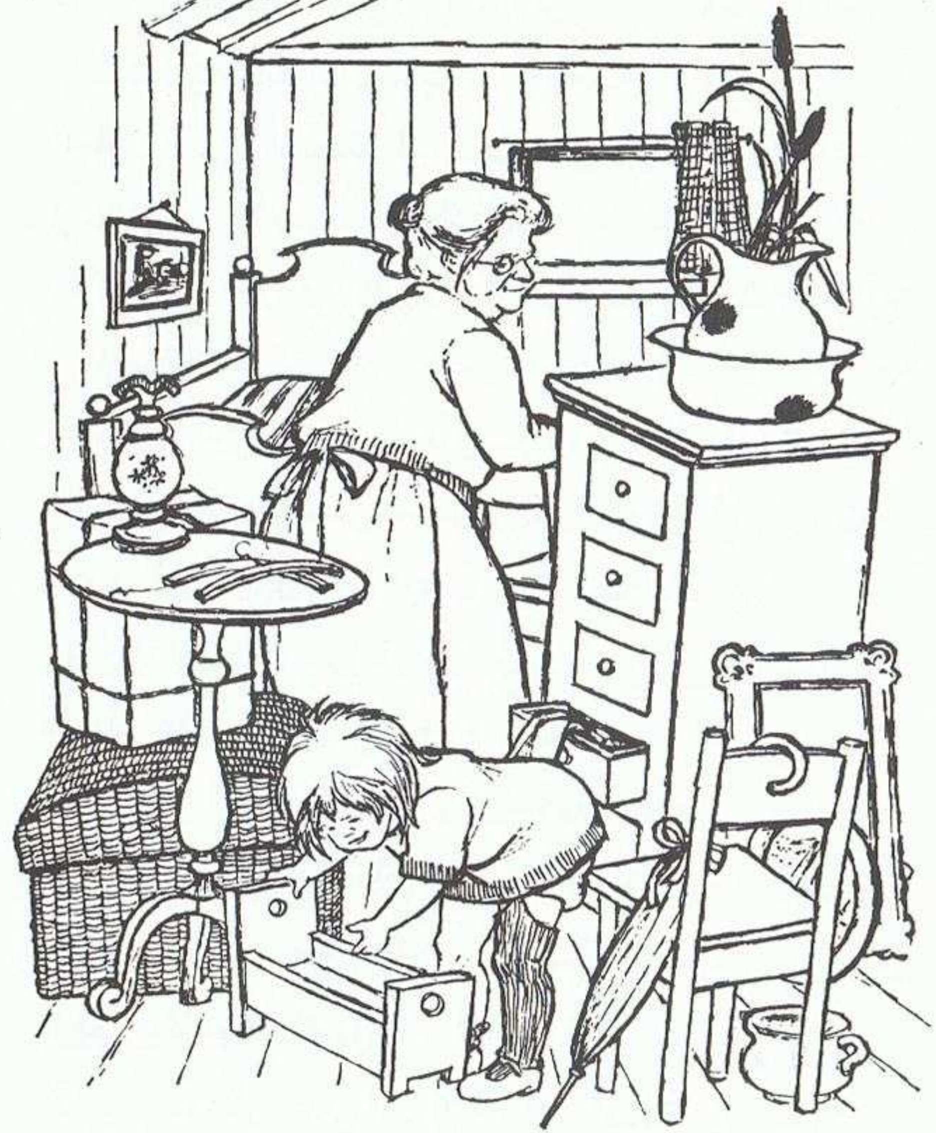
أشارت ليلى إلى خِزانة أدراجٍ صغيرةٍ بيضاءَ وقالت: «أُريدُ هذه.» قالت السيدةُ سلمى:

«إنها لك. على الرحب والسَّعة.»

ثم قالت ليلى: «وأحتاجُ ايضا الى كراسي. هل يوجد عندك اي كراسي؟» أجابت السيدة سلمى:

«نعم. ولكنها مكسورة.» قالت ليلى:

«لا يهم. والآن دعينا نفكِّرْ. ماذا أيضاً؟ آه. سرير،



ماذا عن السرير؟ هل لديك واحد؟»

أجابت السيدةُ سلمى: «نعم، أعتقد هذا. هناك سريرٌ صغيرٌ خلف هذه الصناديق. بل يوجد أيضا سريرٌ للّعبة في مكان ما. كان لإبنتي عندما كانت طفلةً صغيرةً.

سألت ليلى متعجبة:

«كانت تنامُ في سرير اللعبة؟»

أجابت السيدة سلمى:

«لا بالطبع. بل في سريرِها الصغير ذاك.»

قالت ليلى:

«اذا أستطيع ان أنام فيه الآن، بينما ينام صديقي بامسي في سرير اللعبة، فلا حاجةَ إلى أن أُضَيّقَ عليه في سريري الصغير. هل لديك فراشٌ للسرير؟»

أجابت السيدةُ سلمى:

«نعم توجد فرشةٌ وبعض الوسائدِ وغطاء، ولكن لا توجدُ مُلاءات».

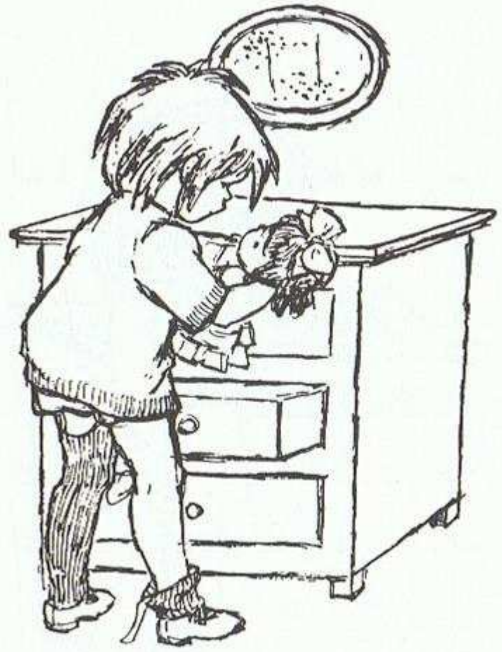
قالت ليلى:
«لا تهمني المُلاءات. هل يمكنك مساعدتي في ترتيب الاثاث يا سيدة سلمى؟»
من غير تردّدٍ بدأت السيدةُ سلمى في تحريـكِ الأثاث، وساعدت ليلى في ترتيب الغرفةِ الصغيرة. فوضعا الطاولةَ والكراسي قريباً من النافذة، وخزانةَ الأدراج إلى جانب أحدِ الحيطان، والسريرَ عند حائطٍ آخر. ووضعا سريرَ اللّعبةِ الى جانـبِ السريـرِ الصغير الذي ستنامُ عليه ليلى. وأسندت ليلى صاحِبَها بامسي على الوسادةِ الصغيرةِ ثم قالت بارتياح:
«إنّها الآن مثل غرفة حقيقية.»
وجدت السيدةُ سلمى سجادةً صغيرةً ففَرَشَتْها على أرض السُدّة، مما جعلها بالفعلِ تبدو مثل غرفةٍ حقيقية. بعد ذلك تناولت السيدة سلمى مرآة مدوّرة عليها آثارٌ من وَسَخ الذباب. فعلَّقَتْها فوقَ خزانة الادراج. ثم علقت فوق سرير ليلى لوحةً تصوِّرُ

(ليلى والذئب). أعجبت اللوحةُ ليلى فقالت:
«معك حق، لابد أن يكون عندي لوحات، والا لا يكون البيتُ بيتاً بالمعنى الصحيح. هذه لوحةٌ جميلةٌ يا سيدة سلمى.»
كان من عادة ليلى أن تقولَ إنها تريدُ عندما تكبرُ أَن يظهر على أصابع قدمِها جلدٌ خشنٌ صلبٌ مثل السيدة سلمى. وان تكونَ لديها «دال» ـ تعني دارا ـ مثل أمّها. والان عندما ادارت بصرَها في الغرفةِ الصغيرةِ شعرت بالرّضا التام وقالت متنهدة بسعادة:
«لقد حصلت منذ الآن على «دالي» ـ تعني داري ـ.
ابتسمت السيدة سلمى وقالت:
«هذا حسن ولكن لا تستعجلي ظهور الجلد الخشنِ الصّلب على أصابعِ قدمَيْكِ!»
قالت ليلى: «معك حق. أعتقد انه لابد من الانتظار بعضَ الوقت حتى يحدث هذا». ثم عطست ليلى ثلاثَ مرات متتالية.

علقت السيدة سلمى قائلة:
«هذا المكان مليءٌ بالغبار. ولهذا أنت تعطسين الآن».
قالت ليلى:
«سأمسحُ الغبار. هل لديك مِمْسَحَةُ غبار؟»
اجابت السيدة سلمى قائلة: «انظري في الأدراج.»
سحبت ليلى الدرجَ العلوي، نظرت فيه وقالت بدهشةٍ وفرح: «يا سلام! هذا طقم صحونٍ وفناجينَ حقيقيّ للّعبة.»
نظرت السيدةُ سلمى في الدرج وقالت: «آه، نعم إنه كذلك. كنتُ قد نسيتُ وجودَه تماما.
قالت ليلى: «من حسن حظي إذن أنني وجدتُه».
وبدأت تُخْـرِجُ الطقمَ وتضعُه على الطاولة. كان طقماً أبيضَ نُقِشَتْ عليه زهورٌ زرقاء. وكان يتألف من فناجينَ وصحونٍ وطبقِ تقديمٍ وإبريقِ قهوةٍ وسُكَّرِيّةٍ ووعاءٍ للقشدة.
واخذت ليلى تقفزُ من الفَرح وتقول ضاحكة: «لو رأت



نجوى كلَّ هذا لطار عَقْلُها.»
قالت السيدةُ سلمى: «لا أظن ذلك. على اي حالٍ انظري في الأدراجِ الأخرى لعلك تجدينَ مِمْسَحَةَ الغبار.»



وهكذا سحبت ليلى الدرجَ التالي، فوجدت فيه لعبةً كبيرةً ذاتَ عَيْنَيْنِ زرقاوين. كادت ليلى تطيرُ فرحاً وهي تقول: «يا سلام يا سلام!»

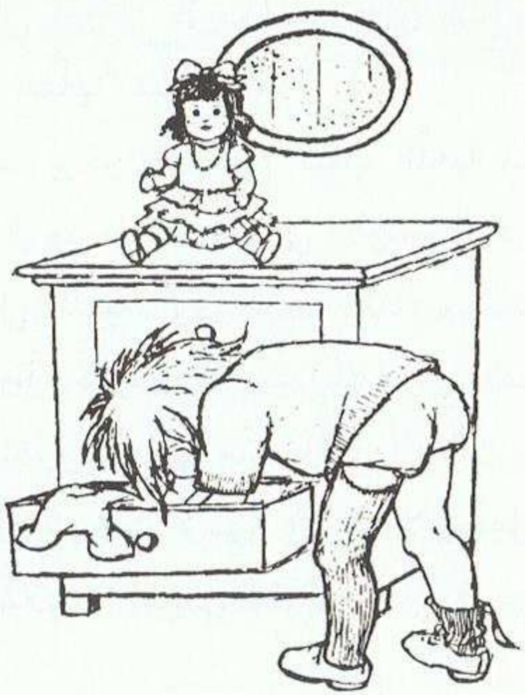
نظرت السيدةُ سَلمى وقالت: «نعم. نعم إنَّها لارا.»

قالت ليلى: «أَهذا هو اسمها؟ لارا! ما أَجْمَلَها! لن ينامَ بامسي في سرير اللُّعبة الآن. فهو السرير الذي ستنامُ فيه لارا. هل تسمحين لي بالاحتفاظِ بها يا سيدة سلمى؟»

أَجابت السيّدة سلمى قائلة: «نعم، بشرطِ أَن تعتني بها جيدا.»

ثم أَضافت قائلة: «طبعاً لابد لها أَن تنامَ في سريرِها الخاصّ بها، وعلى بامسي أَن ينتقلَ منه.»

هزَّتْ ليلى رأْسَها بالموافقة وقالت: «نعم. ثم إنَّني أَعتقد أَنَّ بامسي يُفَضِّلُ أَنْ ينامَ الى جانبي».



قالت السيدةُ سلمى: «انظري الان في الدُّرجِ الأسفلِ لَعلَّك تجدين بعضَ ملابسِ اللُّعبة هناك. أَذكرُ أَنني صَنَعْتُ قطعاً كثيرةً للُعبةِ في ذلك الزمان.»

سحبت ليلى الدرجَ الأسفل. كان مليئاً بالكنزات الصوفيةِ والفساتينِ والمعـاطفِ والقبعاتِ والملابسِ الداخليةِ وملابسِ النوم. وكلّـها تخصّ لارا.

صاحت ليلى بفرح: «لو رأت نجوى هذا كلّه، فمن المؤكد أَنَّ عقلَها سيطير.»

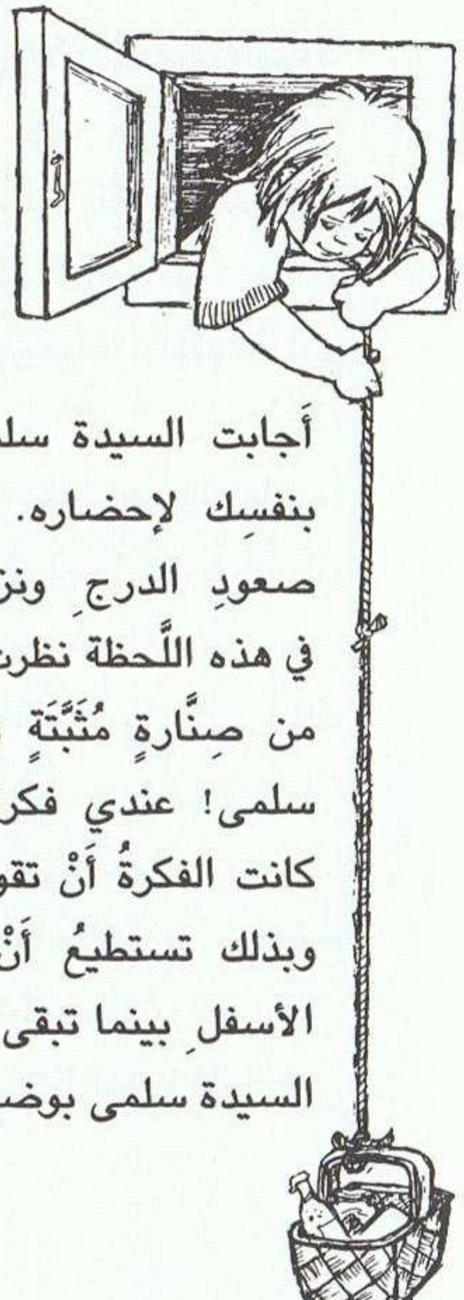
وهكذا قامت بإخراج جميعِ ثيابِ اللُّعبة من الدرج. ثم جلست في وسط الغرفةِ على الأرض، وبدأت تُجَرِّبُ الملابسَ على اللُّعبة. وفي هذه الاثناء وجدت السيدة سلمى «فوطةً» قديمة، فَقَدَّمَتْها لليلى كي تستعمِلَها في مسحِ الغبار. ولكنَّ ليلى هزَّت رأْسَها وقالت: «أَستطيعُ مسحَ الغبارِ في وقتٍ لاحق. (أَما الان فعلي أَن أُقرِّرَ ايَّ هذه الملابس أفضَل لِتلبَسَهُ لارا في يوم العطلةِ الأسبوعي.»



كان من الصعب على ليلى أَن تختارَ الثوبَ المناسب، فقد كانَ هناك الكثيرُ من الثيـابِ الجميلة: ثيـاب حمراءَ وصفراءَ وزرقاءَ وبيضاء، وثيـاب مُخَطَّطَـةٍ وأُخرى مُنَقَّطة وأُخرى نُقِشَت عليها زهور.

أَخيرا قالت ليلى: «الثوبُ الأبيض المطرَّز. إنَّه الأفضل. سوف يُسْمَحُ لها بأَن تلبسَه في يومِ العطلةِ

الاسبوعيِّ فقط.»
قالت السيدة سلمى: «معك كلُّ الحق. يجب ألّا تسمحي لها بارتدائِه في كلِّ يوم.»
ثم ربّتت السيدةُ سلمى بحنانٍ على خدِّ ليلى وقالت: «الآن وقد انتهينا من ترتيبِ الغرفة، أَعتقدُ أَنَّ عليّ أَنْ أَعودَ الى بيتي.»
هزّت ليلى رأْسَها بالموافقةِ وقالت: «طيب. ولكن يجبُ أَنْ تأتي لزيارتي في وقت ما. اذا رأيت عائلةَ حسان فأخبريهم أَنني أَعيشُ الآن في بيتٍ خاصّ لي، وأَنّني لن أَعود الى بيتهِم أَبداً!»
قالت السيدةُ سلمى وهي تتجه الى الخارج: «سأفعلُ هذا.» وعندما صارت السيدة سلمى في منتصف درجاتِ السلّم صاحت ليلى: «آه سيدة سلمى! ماذا عن طعامي؟»
اجابت السيدة سلمى: «نعم. طبعا طبعاً.»
سألت ليلى: «هل يُمْكِنك أَن توفري لي شيئاً منه؟»



أَجابت السيدة سلمى: «نعم. ولكن عليْكِ أَنْ تأتي بنفسِك لإحضاره. فأنا لا استطيعُ ان أَستمرَّ في صعودِ الدرجِ ونزولِه دائماً. إنَّه أَمرٌ مُتْعِب.»
في هذه اللَّحظة نظرت ليلى الى الاعلى، فرأت سلّة تتدلى من صِنَّارةٍ مُثَبَّتَةٍ في السّقف، فقالت فورا: «سيدة سلمى! عندي فكرةٌ رائعة.»
كانت الفكرةُ أَنْ تقومَ ليلى بربْطِ السلَّةِ بحبلٍ طويل، وبذلك تستطيعُ أَنْ تُدَلّي السلَّةَ من النافذةِ إلى الأسفلِ بينما تبقى هي مُمْسِكةً بطرف الحبل، فتقومُ السيدة سلمى بوضعِ الطعامِ في السلّة، ثم تقومُ ليلى

برفْعِها الى الأعلى لتأخذَ الطعام.
وقالت ليلى. «ثم أَقومُ برفْعِها الى الأعلى وهوب! فأجدُ الطعام فيها.»
قالت السيدة سلمى ضاحكة: «إنَّك طفلةٌ ذكيةٌ حقاً. ثم مضت لتحضيـرِ بعضِ الطعام لليلى.
عندما عادت كانت ليلى تنتظرُ مُستعدَّة وقد أَنزلت السلّة بالحبل.
صاحت السيدة سلمى: هوب! هذا هو الطعام.»
صاحت ليلى من الأعلى: «لا تقولي لي ما هو. أُحبُّ أَن يكونَ مفاجأة.»
ثم رفعت السلّةَ الى الأعلى ونظرتْ فيها. كان هناك علبةُ عصيـرِ برتقال مع مصَّاصَتْين وفطيرةٍ باردةٍ ملفوفة بورقة، وعلبة صغيرة من المُرَبىّ.
قالت ليلى: «هذا أَفضلُ من طعامِ عائلةِ حسّان. مع السلامة يا سيدة سلمى، وأَشكركِ كثيرا.»
وهكذا عادت السيدة سلمى الى بيتِها، بينما قامت ليلى

بوضْعِ الفطيرةِ على الطّاولة، ومدَّت عليها طبقةً من المربى، ثم لَفَّتْها بِشَكْلٍ طولي، وأَمْسَكَتْها بيديها، وأَخذت تقضمُ منها قضمات كبيرة، وفي أَثناء ذلك كانت تشربُ من عصيرِ البرتقالِ عبرَ المصّاصَتَيْن.
حدّثت نفسَها قائلة: «لاَ يمكن أَن يكونَ أَفضل من هذا. كما أنه لا توجَدُ صحون. أَتعجَّبُ كيف يقولُ الناسُ أنَّ تدبيرَ المنزلِ أمرٌ صعبٌ جداً!!»
لم تجد ليلى عملَ البيت صعباً، بل على العكس من ذلك وجدته ممتعاً. فبعد أَن فرغت من تناولِ الطعام قامت بمسحِ أَصابعِها بممسحةِ الغبار. ثم قامت بمسحِ الغبار عن الأثاث: الطاولةِ وخزانةِ الادراجِ والكراسي والسريرِ وسريرِ اللّعبة والمرآة ولوحةِ «ليلى والذئب».
ثم عملت على ترتيب سرير لارا والسريرِ الأكبر الذي ستنامُ عليه مع صديقِها بامسي. وكانت ليلى سعيدة جدا بمنزِلها الجديد، حتى أَنها أَخذت تدندن بأغنيةٍ كانت قد تعلمتها سابقا:

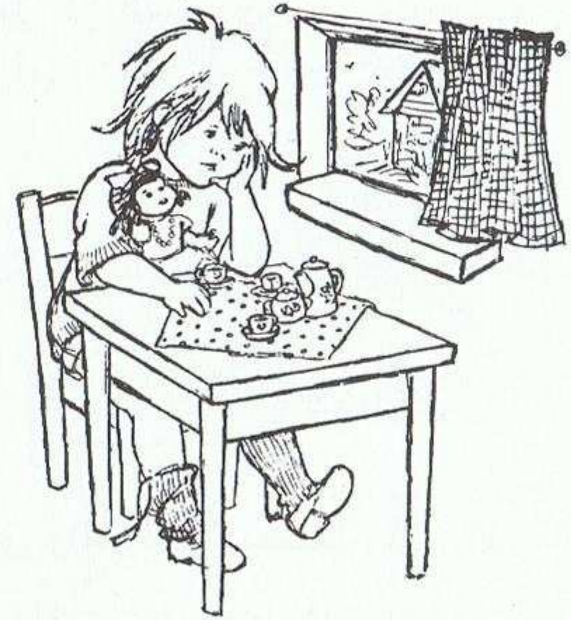


آتي آتي نحو البيت
الدنيا لَيْلٌ وظلامْ
وأنا وحدي والناسُ نيامْ
أشعِلُ ضَوْءَ البَيْتِ الأصفرْ
يركض نحوي قطي «عَنْبَرْ»
ويموءُ يرحب بي ويقول:
«أهلاً أهلا ـ أهلاً أهلا
أهوى بيتي، بيتي الأحلى.»

توقفت ليلى عن الغناء، ثم همست لنفسها: «ولكنني لا أملِكُ قطاً!»

ليلى تستقبل زائرا

قضت ليلى وقتاً طويلاً وممتعاً وهي تلعبُ مع اللعبة لارا ومع دبِّها بامسي، كما لعبت بطقمِ الصحون، ثم عادت ومسحت الغبارَ عن الأثاث خمسَ مرات أخرى.
ثم جلست على كرسي وبدأت تفكّر.
سألت بامسي: «تُرى ما الذي يفعلُه الانسانُ في منزلِه طوالَ يومٍ كامل؟»
وهنا سمعت صوتَ أقدامٍ تصعدُ الدرج. نعم، إنهما أيمن ونجوى. وما إن دخلا حتى بادرتهما ليلى بالقول: «لقد رَحَلْت.»



قال أَيمن: «نعم، نعرف. لقد أَخبرتنا السيدةُ سلمى.»
وعادت ليلى تقول: «سوف أعيش هنا طوال حياتي.»
قال أَيمن: «هذا ما تظنين».
أَما نجوى فقد اتجهت فورا إلى طقم صحون اللعبة.
وأَطْلَقَتْ زفرةَ إعجاب ودهشة: «أُوه»! بينما أَخذت

تلتقطُها قطعةً قطعةً وتتأملُ فيها. ثم وقعَ نظرُها على اللَّعبةِ لارا وملابسِها، فأطلقت زفرةَ إعجاب أُخرى: «أُوه» ثم بدأت تستعرضُ الثيابَ قطعةً قطعة.
صاحت ليلى بها مُحَذِّرةً: «لا تلمسيها. هذا بيتي وهذه أَشيائي.»
قالت نجوى بنبرةِ رجاء: «الا تسمحين لي باللّعب بها لوقتٍ قصيرٍ فقط؟»
قالت ليلى موافقةً: «طيب. ولكن فقط لوقتٍ قصيرٍ.»
بعدلحظة سألت ليلى قائلة: «هل تبكي أمي؟»
أَجاب أَيمن: «طبعا لا.»
وهنا سُمِعَ صوتُ من جهةِ الدَّرجِ يقول: «طبعا أَنا أَبْكي.» كان هذا صوتَ الأُمّ التي برزت فجأةً وتابعت القول: «طبعاً أَنا أَبكي على فِراقِ ليلاتي الصغيرة.»
ظهر السرورُ على وجهِ ليلى وقالت: «انا آسفة يا امي. ولكنني قد رحلت. وصار عندي الآن منزلي الخاص الذي أَقوم بتدبيرِه. وهذا يأخذُ كلَّ وقتي.»

قالت الام: «هكذا إذن! أرى ان لديك مكاناً نظيفاً جداً هنا.»
قالت ليلى وهي تتحسس الستائر: «أحسنُ بكثيرٍ من الحال في بيتِكم.»
قالت الام: «جئتُك بهديّة. إنها نبتةُ وردٍ في وعاءٍ من الفخار. هكذا العادةُ حينما ينتقل الناسُ الى بيتٍ جديد.» وقدمت الام هديتَها الى ليلى.
قالت ليلى: «ما أَجْمَلَهَا. سأضَعُها الى حافةِ النافذة. أشكركِ كثيراً.»
ثم قامت ليلى بمسح الغبار مرةً اخرى عن أثاث الغرفة، لكي تشاهِدَها أمُّها وأخوها وأُختُها وهي تفعلُ ذلك. وأقرَّ الجميعُ أنها ماهرةٌ في تدبيرِ المنزل.
حين فَرَغَتْ ليلى من مسحِ الغبارِ قالت أَمُها: «هل ستأتينَ الى المنزلِ مع أيمن ونجوى من أجلِ تناولِ العشاء؟»
أجابت ليلى: «لا إن السيدة سلمى توفّرُ لي طعامي.»

ثم شَرَحَتْ لهم الطريقةَ الذكيةَ التي ابتدعَتْها للحصولِ على الطَّعام باستعمال السلَّة.
علق أَيمن قائلا: «قد اتضحَ الآن أَنّك لست غبيّة، على الرغم من كلِّ شيء.»
ثم جلس على أَرضِ الغرفةِ وبدأ يتصفحُ بعضَ المجلاتِ القديمةِ التي وجدَها في ركنِ الغرفة.
أَخيرا قالت الأم: «طيب. وداعا يا ليلى. على أيِّ حال اذا قَرّرتِ العودةَ الى البيتِ عندما يأتي العيد، فسنكون سعداء بذلك كما تعلمين.»
قالت ليلى: «كم بقي للعيد؟»
أَجابت الأُم: «سبعة شهور.»
قالت ليلى بسرعة: «آه. أَظن أَنني سأسكنُ هنا أَكثرَ من سبعةِ شهور.»
قال أَيمنِ ضاحكا: «هذا ما تظنين.»
غادرت الأُم، وبقي أَيمن ونجوى وقتا آخر. لعبت ليلى مع نجوى باللّعبةِ لارا. أَما أَيمن فبقي جالساً على

ارضيةِ الغرفة يقرأ المجلات.

ثم سألت ليلى أُختَها قائلة: «أَليسَ بيتي لطيفاً ومسلِّياً يا نجوى؟»

أَجابت نجوى: «إنه أَفضلُ بَيْتٍ للّعب شاهدتُهُ في حياتي.»

قالت ليلى مُحْتَجّة: «إنّه ليس بيتاً للّعب. إنّه بيتي الحقيقي.»

فجأة سَمِع الجميعُ صوتَ خطواتٍ ثقيلةٍ تصعدُ درجَ السلّم. كان هذا والدَ ليلى.

وما إن دخلَ الغرفةَ حتى قال: «لقد سمعت أَخباراً مزعجة. الناسُ في البلدةِ يقولون إنّك قد رحلتِ من البيت يا ليلى، أهذا صحيح؟»

هزت ليلى رأسَها موافقة وقالت: «نعم. لقد رَحَلْت.»

قال الوالد: «إذن ستكون هذه ليلةً حزينةً جدا. تخيّلي كم سأشعرُ بالحزنِ حين أَذهبُ الى غرفةِ نومِكم لأقول: تُصْبِحون على خير، ثم أجدُ سريراً فارغاً، هو

سرير ليلى التي تركت البيت.»

قالت ليلى بنبرة حازمة: «آسفة ولكن لا مجالَ لتغيير رأيي.»

ولكن ليلى في الحقيقة شعرت بالحزن من أَجْلِ والدِها. وقالت في نفسِها: «يا لوالدي المسكين!»

قال الوالد: «نعم، يبدو أَن الأمر كما تقولين». ثم وجّه كلامَه لأيمن ونجوى وقال: «هيا يا نجوى. هيا يا أَيمن. يُسْعِدُنا أَن نعودَ الآن الى البيتِ لتناولِ العشاء. انه عشاءٌ خاصٌّ هذه الليلة: لحمٌ مشويٌّ وخبزٌ مُحَمَّصٌ وسلطةٌ وفطيرةُ تفاح.»

ثم ودَّعَ ليلى وهو ينزلُ السلَّمَ قائلا: «إلى اللقاء يا ليلى العزيزة.»

قالت ليلى: «إلى اللّقاء.»

وقال أَيمن ونجوى: «وداعاً يا ليلى.»

فأجابت ليلى: «وداعاً.» وما لبثت أن اتجهت نحو النافذة لتلوّح لهم بيدها.

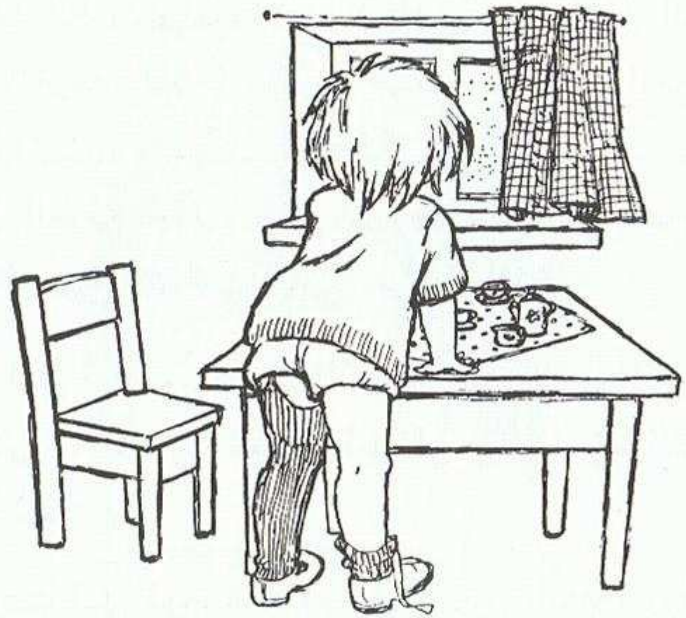
«وأنا وحدي والناسُ نيامْ...»

أَصبحت ليلى الان وحيدة. أَحضرت لها السيدةُ سلمى طعامَ العشاء، ووضعَتْه في السلّة، ثم قامت ليلى برفعِ السلّةِ كالعادة. وجدت هناك علبةَ عصيرٍ مع مصّاصَتَيْن وقطعةٍ من اللّحمِ البارد.

قالت ليلى وهيِ تُقَدِّم قطعةً صغيرةً لبامسي: «طعامٌ جيد، ليس أَقلَّ من عشاءِ عائلةِ حسّان.»

بعد أن انتهت من تناولِ العشاء عادت فمسحت الغبارَ عن الأثاث مرةً أُخرى، ثم ذهبت الى النافذةِ وأَخذت تراقبُ بَيْتَ عائلةِ حَسّان. شاهدت أَيمن ونجوى يلعبان في الحديقةِ مع والدهِما، وكانت أَشجارُ التفاحِ مزهرةً، فبدت كأنَّها باقاتٌ من الزهور. كان منظراً جميلاً حقاً.

حَدَّثَتْ ليلى بامسي قائلة: «اللّعبُ في الحديقة شيءٌ ممتع. ولكنْ اَمْتَعُ منه أَن يكون للإنسان بيتٌ خاصٌ به يُدبِّر شؤونَه بنفسِه.»



بدأَ الظلامُ يشتدُّ. ودخل الأبُ مع نجوى وأَيمن الى بيتهم الدافئِ الأصفر. تنهدت ليلى، فلم يبق الآن ما تنظرُ إليه.

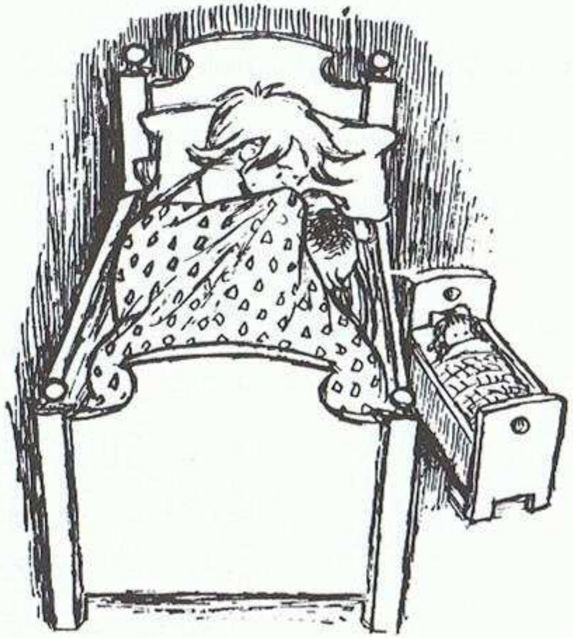
بينما كانت ليلى تنظرُ عبرَ النافذة، حدث شيءٌ في غرفة ليلى. إنَّه شيءٌ لم تُخَطِّطْ له ليلى ولم تحسب له حساباً.

فعندما أَدارت رأْسَها عن النافذة، وجدت أَنَّ الظلامَ يلُفُّ الغرفة. لقد استقرّت العتمةُ في كل زاويةٍ من زوايا المكان. واحسّت ليلى كأن الظلامَ يزحفُ نحوها ويملأُ الغرفةَ تماماً، حتى لم يَعُدْ هناك غير بصيصٍ من الضوءِ الخافت يأتي من النافذة.

قالت ليلى لبامسي: «من الأفضل أَن نذهبَ الآن الى الفراش يا بامسي. فبعدَ قليل لن يكونَ بإمكانِنا أَن نرى شيئا.»

وأَسرعت ليلى فوضعت لارا في سريرِ اللّعبة، ومدّدت بامسي على جانبِ سريرِها، ثم زحفت الى جانبه وسحبت الغطاءَ فوق جسمِها ووجهِها حتى أَنفِهَا وقالت: «إنني لستُ خائفةً من الظّلام. ولكنَّه يجعلُني أَشْعرُ بالحزن. ثم إنّني أشعرُ بالنعاسِ حقاً.»

تَنَهَّدَتْ بعمق، ثم ما لبثَت أَن رَفعت جسمَها وجلست على السريرِ تنظرُ عبرَ الظلام. تَنَهَّدَتْ من جديد، ثم ارتجفَ جسمُها فعادت وزحفت بجسمِها تحتَ الغطاء.



وأَخذت تضم بامسي الى صدرها بمزيدٍ من القوة. حَدَّثَتْ نفسَها قائلةً: «أَظن أَنَّ أَيمن ونجوى قد صارا على سريرِهما الآن. وما هي حتى يدخلُ أَبي وأُمي عليهما ليقولا لهما: «تصبحان على خير». ولكنهما لن يقولا هذا لي..»

تنهدت ليلى من جديد. ولاحظت هذه المرة أَنَّ تنهيدتَها هي الصوتُ الوحيدُ المسموعُ في الغرفة. وفيما عدا ذلك كان السكوتُ مطبقاً.

قالت في نفسها: «لا أُحب ان يكونَ المكانُ هادئاً إلى هذا الحد.»
وهكذا بدأت تغني أُغنيتَها مرة اخرى:

آتي آتي نحو البيت
الدنيا لَيْلٌ وظلامْ
وأنا وحدي والناسُ نيامْ
أشعلِ ضَوْءَ البَيْتِ الأصفرْ
يركض نحوي قطي «عَنْبَرْ»
ويموءِ يرحب بي ويقول:
«أهلاً أهلا ـ أهلاً أهلا
أهوى بيتي، بيتي الأحلى.»

وهنا توقفت ليلى عن الغناء. كان صوتُها يرتجف. ولكنَّها حاولتْ من جديد:

آتي آتي نحو البيت
الدنيا لَيْلٌ وظلامْ
وأنا وحدي والناسُ نيامْ

ولكن، لم يعد بامكان ليلى أَن تستمرَّ في الغناء. وانفجرتْ بالبكاء. وهنا سَمِعَتْ صَوْتَ خطواتِ والدِها الثقيلة على درجاتِ السّلم. وكان يغني:

أُشعلِ ضَوْءَ البَيْتِ الأَصفرْ
يركض نحوي قطي «عَنْبَرْ»
ويموءِ يرحب بي ويقول:
«أهلاً أهلا ـ أهلاً أهلا
أهوى بيتي، بيتي الأَحلى.»

نهضت ليلى جالسة على سريرِها، وقالت وهي تشهق في البكاء: «أبي! ليته كان عندي قطٌ فقط.»
فرفعها والدُها وضمَّها بين ذراعيه وقال: «تعرفين يا ليلى أَنَّ أُمَّك حزينةٌ جدا. الا تعتقدينَ أَنَّ بإمكانك ان تعودي قبل العيد؟»
أجابت ليلى: «أُريد أنْ أَعودَ الآن فوراً.»
وهكذا حملَ الأبُ ليلى وصديقَها بامسي بين ذراعيه، وعاد بهما الى البيتِ الأصفر، والى الأم. وما ان دخلَ

الأبُ بهما الى البيت حتى صاحَ قائلاً: «لقد عادت ليلى إلى البيت.»

كانت الأُمُّ تجلسُ أَمام المدفأة في غرفة الجلوس. مدَّت ذراعيها نحو ليلى وقالت: «هل هذا صحيح؟ أحقاً عادت ليلى الى البيت»؟

ركضت ليلى والقت نفسها في حضن أُمِّها وبكَتْ بشدةٍ حتى ان دموعَها جرت على خَدَّيْها بغزارة. وقالت وهي تجهشُ بالبكاء: «سوف أَعيشُ معك طوال عمري يا أُمي.»

قالت الام: «هذا رائع.»

تكوَّمت ليلى في حضنِ أُمِّها دون ان تقولَ كلمةً واحدةً لوقت طويل. واخيرا قالت وهي تشهق: «أمي! صار عندي الآن كنزةٌ صوفيةٌ جديدة. السيدة سلمى أَعطتني إياها. هل عندك مانع؟»

لم تجب الأُم، وبقيت هناك في مكانِها تنظرُ بهدوءٍ وصمتٍ الى ليلى. ثم خَفَضَتْ ليلى بَصَرَها وقالت



بخجل:

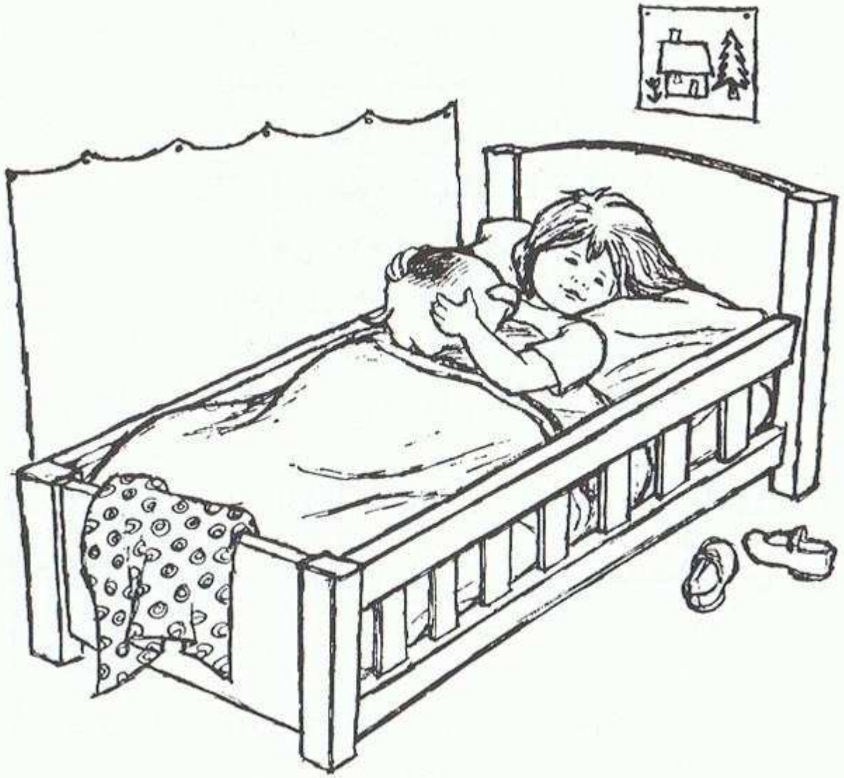
«لقد أَتلَفْتُ الكنزةَ الأُخرى بالمِقَص. وأُريد أنْ أَقول: إني آسفة، ولكنَّ هذا صعب.»

قالت الام: «ماذا لو قلتُ إنني آسفةٌ أَنا أَيضاً؟»

قالت ليلى: «في هذه الحالةِ يمكننا أَن نقولَ ذلك معا».

وهنا رمت ليلى ذراعيها حول عنقِ أُمِّها وضَمَّتْها بأَقوى

ما تستطيعُ وهي تقول: «آسفة، آسفة، آسفة، آسفة.»
وهكذا حَمَلَتْ الأُمُّ ليلى وبامسي الى غرفةِ نومِ الأطفال وَوَضَعَتْهُما في سريرِهما المريح حيث توجد مُلاءاتٌ نظيفةٌ وغطاءٌ زهريُّ اللّون. وصعدَ الأب الى الغرفةِ كذلك، وقبَّل الأبُ والأُمُّ ليلى قائلَيْن:
«تصبحين على خير يا ليلى.»
ثم خرجا من الغرفة ونزلا الى الطابق الأسفل. وقالت ليلى لبامسي: «إنهما لطيفان جداً.»
كان أَيمن ونجوى شبهَ نائِمَيْن، ولكنَّ أَيمن فتح عينيه وقال:
«كنتُ أَعرفُ أَنّكِ ستخافين، وأَنّك لن تستطيعي النومَ وحدَك هناك طوالَ الليل.»
أَجابت ليلى: «قَرَّرْتُ أَن أَمْكُثَ هناك في أَثناءِ النّهار فقط، لأَلعبَ وأُدبِّرَ شؤونَ بيتي. واذا تجرأْتَ أَنت ونجوى مرة أُخرى وضربتما بامسي، فسوف أَردُّ لكما الضّرب. هذا ما قرّرتُه.»



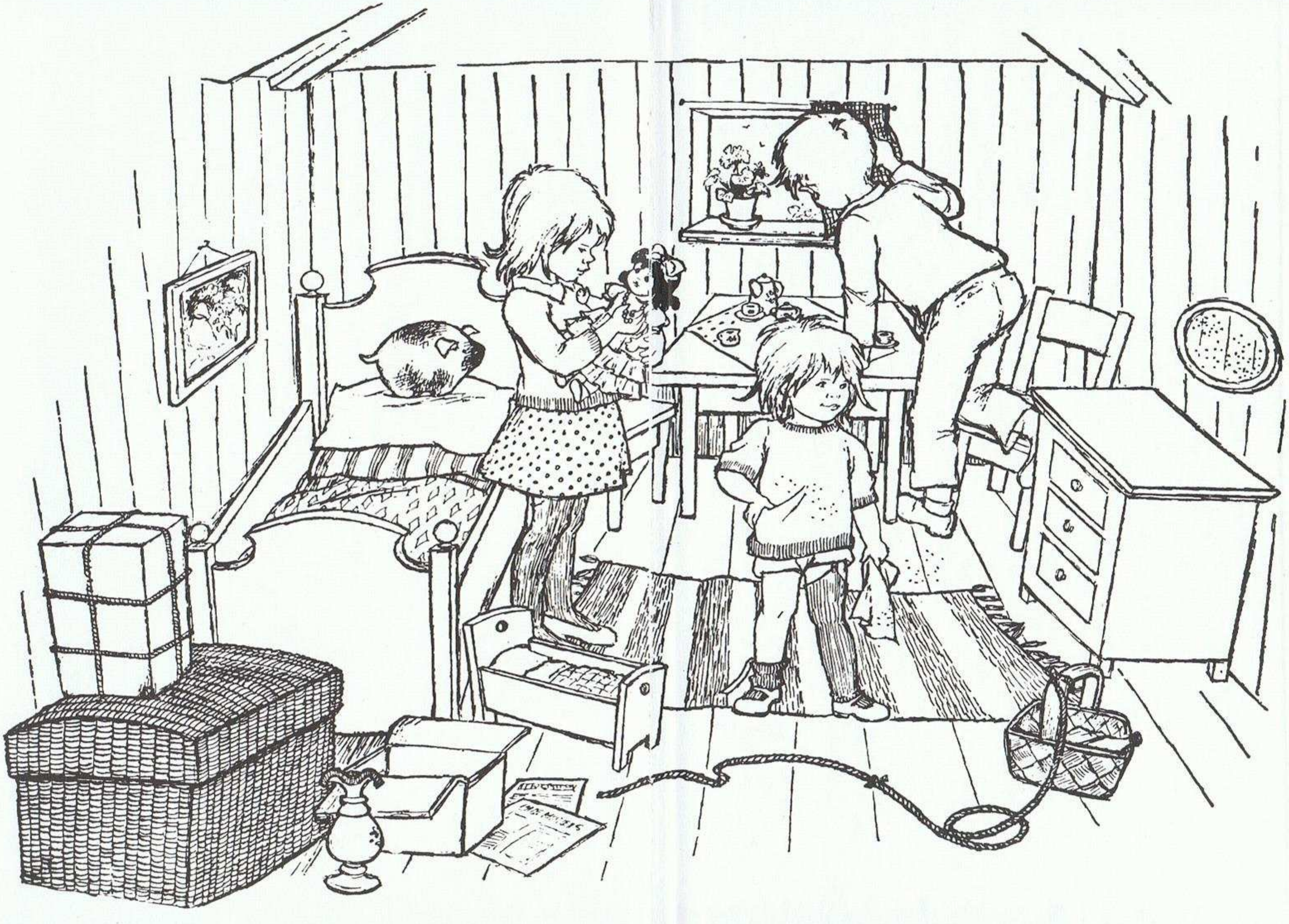
قال أَيمن: «نضربُ بامسي؟ لم نلمس دبَّك الكلبيَّ هذا أَبدا.»
ثم ضحكَ وذهبَ في النوم.
ولكن ليلى بقيت مستيقظةً بعض الوقت وهي تغنّي لنفسِها:

آتي آتي نحو البيت
الدنيا لَيْلٌ وظلامْ
وأنا وحدي والناسُ نيامْ
أشعلُ ضَوْءَ البَيْتِ الأصفرْ
يركض نحوي قطي «عَنْبَرْ»
ويموء يرحب بي ويقول:
«أهلاً أهلا ـ أهلاً أهلا
أهوى بيتي، بيتي الأحلى.»

ثم توقفت عن الغناء، وقالت لبامسي: «ولكنَّ هذه الأُغنيةَ لم تَعُدْ تتحدثُ عني. انها تتحدثُ عن ليلى اخرى».

ثم ضَمَّت دُبَّها بقوَّةٍ وراحتْ في نوم عميق.





أستـريـد ليندجرين



ليلـى
ترحل من البيت

دار المنى